نقد الاسس الفكرية لتنظيم داعش الارهابي

م.م. علي رزاق شحيت
جامعة النهرين – كلية العلوم السياسية، بغداد \ العراق

Critique of the Ideological Foundations of the Terrorist Organization ISIS

Assist. Lect. Ali Razzaq Shhiet
Al Nahrain University - College of Political Sciences, Baghdad / Iraq
Ali.razzaq@nahrainuniv.edu.iq

المستخلص

يتناول هذا البحث نقد الأسس الفكرية لتنظيم داعش الإرهابي، من خلال تحليل المنطلقات الفكرية والعقائدية والسياسية التي اعتمد عليها التنظيم في تشكيل رؤيته واضفاء الشرعية على اعماله, بالاعتماد على المنهج النقدي التحليلي لتفكيك ابرز الاسس الفكرية التي استند عليها التنظيم، وبيان تناقضاته مع النصوص الاسلامية الصحيحة. كما سيسلط الضوء على الآثار المدمرة لهذه الأفكار على السلم المجتمعي خصوصا في المجتمعات المكونة من نسيج اجتماعي متنوع ومتعدد الانتماءات الدينية والعقائدية. كما يركز البحث على تسليط الضوء على جانبين من الفهم الاسلامي للمقارنة بينهما, يمثل الجانب الاول الفهم السلفي التكفيري المنتج لهذه الجماعات والذي يعد تنظيم داعش الارهابي احد انعكاساته, فيما يمثل الجانب الثاني الاسلام المعتدل الذي يدعوا الى التعايش والتفاهم مع الآخر مع الاحتفاظ بالهوية الاسلامية من الانحراف والتشويه. في الختام سيقدم البحث رؤية نقدية عقلانية وشرعية تهدف إلى دحض الأسس الفكرية المتطرفة وتقديم فهم معتدل للإسلام قائم على دلائل ومواثيق علمية رصينة.

الكلمات المفتاحية: الحركات العنفية – الارهاب – داعش – النقد – الجهاد

Abstract

This research critically examines the ideological foundations of the terrorist organization ISIS (Daesh) by analyzing the intellectual, doctrinal, and political premises upon which the group relied to shape its worldview and legitimize its actions. Using an analytical and critical methodology, the study deconstructs the key ideological bases of the organization and highlights their contradictions with authentic Islamic texts.

Additionally, the research sheds light on the devastating effects of these extremist ideas on societal peace, particularly in communities with diverse religious and ideological backgrounds. It also focuses on contrasting two interpretations of Islam The Takfiri Salafi Ideology which fuels such extremist groups, with ISIS being one of its manifestations Moderate Islam which advocates for coexistence and mutual understanding while preserving Islamic identity from distortion and misrepresentation In conclusion, the study presents a rational and legally grounded critique aimed at refuting extremist ideologies and promoting a balanced understanding of Islam based on sound scriptural evidence and Islamic principles.

Keywords: Violent movements - Terrorism - ISIS - Criticism - jihad)

المقدمة

داعش او تنظيم الدولة الاسلامية كما زعم انصاره, تنظيم ارهابي مسلح ظهر في العام 2011م في جمهورية سوريا وانتقل من طريقها الى جمهورية العراق نهاية العام 2014م وسيطر على جزء كبير من الاراضي العراقية والسورية, الا اننا يمكن ان نرجع البدايات الاولى لظهور التنظيم المسلح الى ما قبل العام 2011م فقد شرعت الجماعة بتنظيم نفسها قبل ذلك العام, حيث اقامت نمطا بيروقراطيا في الادارة على غرار تنظيم القاعدة, فقد رسّم تنظيم داعش الحدود الادارية والقضائية واعتمد على الاموال المجباة اليه بطرق غير شرعية كأن تكون اتاوات تفرضها الجماعة على المدنيين, او ان تأتي بواسطة الاتجار بالممنوعات او من طريق التبرعات والدعم الخارجي الذي كان يقدم للتنظيم من دول واشخاص لهم مصالح مشتركة مع الجماعة. كان هناك جملة من الاسباب ادت الى تنامي دوره في المنطقة من بينها الاحتلال والهيمنة الامريكية والغربية على المنطقة وما رافقها من نتائج ادت الى اضعاف الحكومات واذكاء التعصب وشيوع الفتنة وتهيئة ارضية خصبة لولوج مثل هذه الجماعات خصوصا وان اغلب قادة هذه الجماعات وعناصرها كان من الذين لديهم ارتباطات خارجية بدول داعمة لها بالمال والسلاح.[1]

بنى تنظيم داعش وجوده على اسس ونظريات وأراء لمفكرين متشددين داخل الفكر الاسلامي, واستل اغلب اعماله الاجرامية بطرق مرتبطة بأحداث تاريخية كانت مثار جدل وخلاف لقرون داخل الاوساط الاسلامية, حيث اعتمد التنظيم على احداث واقعية سابقة ونصوص قرآنية واحاديث نبوية قام بانتقائها وتأويلها تأويلا محرّفا قائما على اساس لي عنق الحقائق ليجعل من النص الاسلامي نصا تابعا ومشرّعا لأعماله الاجرامية. [2]

تمتع تنظيم داعش بمركزية عالية في التحكم بكل شؤونه الداخلية وكانت تلك المركزية اساس قوة الجماعة وسريتها ومثّل الخليفة المركز والقلب النابض للجماعة فهو

1- حميد فرد, ابو بكر البغدادي سياحة في دولة التوحش, مكتب الدراسات لموقع آخر ساعة, 2015م, ص ص (68-70).

2- د. عادل عباس النصراوي, اشكالية فهم النص القرآني عند المستشرقين, ط1, دار الرافدين, لبنان – بيروت, 2016, ص57.

رأس الهرم ثم يليه مساعديه واعضاء الوحدات الادارية والمالية والشرعية والعسكرية.[1] وفيما يلي سنستعرض ابرز الاسس التي اقام بها تنظيم داعش الارهابي دولته المزعومة, كما سننقد تلك الاسس بناء على اعتبارات فكرية قويمة لنوضح للقارئ المرتكزات المشوهة التي بنى داعش على اساسها افكاره وبرر بواسطتها اعماله الارهابية.

اهمية البحث

يعد البحث في الجماعات العنفية المتطرفة واحد من اهم واخطر الموضوعات, وتأتي اهمية البحث في الجماعات المتطرفة من مدى فاعليتها وتأثيرها على الوضع السياسي والاجتماعي في بلداننا العربية والاسلامية ككل. وتكمن خطورتها من فكرها الاجرامي من جهة ومستوى وحجم الدعم الدولي الذي تتلقاه هذه الجماعات من جهة اخرى, خصوصا وانها غالبا ما تشكل ورقة ضغط سياسي تمارسها بعض الدول لتحقيق اهداف داخلية وخارجية.

مشكلة البحث

تدور مشكلة البحث حول معرفة ما هي الأسس الفكرية التي اعتمد عليها تنظيم داعش الإرهابي في تشكيل منظومته العقائدية والسياسية؟ وكيف يمكن نقد هذه الأسس من منظور عقلاني وشرعي؟ وكيف تمكن التنظيم بفكره المنحرف من جذب الانصار والمؤيدين؟ وما هي الاسباب التي ادت الى استفحال التنظيم وتمكنه من السيطرة على اراضي واسعة في سوريا والعراق؟

فرضية البحث

يفترض البحث أن تنظيم داعش قام على أسس فكرية مشوهة ومتطرفة، تعتمد على تأويلات خاطئة للنصوص الدينية خاصة في مفاهيم الخلافة, الجهاد، الولاء والبراء، التكفير، والمثلة وغيرها. مع تجاهل التراث الفقهي الإسلامي المعتدل واستغلال المفاهيم

1- باتريك بي جونستون وأخرون , اسس تنظيم الدولة الاسلامية الادارة, والمال, والارهاب في العراق, من عام 2005 الى 2010, RAND, 2016 ,ص xiii.

الإسلامية لتحقيق أهداف سياسية وعسكرية واستغلال حالة الفراغ الفكري والأزمات الهوياتية لدى بعض الشباب لترويج أفكاره وتوظيف الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية لتعزيز نفوذه وجذب المؤيدين.

منهجية البحث

استخدمنا في بحثنا الموسوم (نقد الاسس الفكرية لتنظيم داعش الارهابي) المنهج التاريخي في سرد الوقائع التاريخية، والمقارن في مقارنة الفهم المتطرف للنصوص والشريعة الاسلامية مع الفهم المعتدل للإسلام, والمنهج التحليلي والنقدي في تحليل ونقد الوقائع واستخلاص النتائج.

هيكلية البحث

قسم البحث الى محورين فضلاً عن المقدمة والخاتمة، إذ تناول المحور الأول مسألة الخلافة وابرز الشروط وصفات الخليفة فضلا عن نقد لخلافة تنظيم داعش, فيما تطرق المحور الثاني التفسير السلفي الجهادي للنصوص الاسلامية وناقش صحتها.

المطلب الاول \ اعادة احياء الخلافة الاسلامية

قبل ان نناقش الخلافة داخل التنظيم لابد لنا قبلها ان نوضح للقارئ ماذا يقصد بالخلافة بصورة عامة؟ وما هي الشروط الواجب توافرها في الخليفة وطرق توليته داخل الدولة الاسلامية؟ وعلى نحو مختصر.

الخلافة: " حراسة الدين وسياسية الدنيا وعقدها لمن يقوم بها واجب بالأجماع وان شذ عنهم الاصم واختلف في وجوبها, هل وجب بالعقل او بالشرع فقالت طائفة وجبت بالعقل لما في طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم ويفصل بينهم في التنازع والتخاصم" [1] وقد وضع المشرعين مجموعة من الخصال التي يجب ان تتوفر كلها في الشخص المرشح للخلافة فأن فقد لشرط من هذه الشروط سقطت عنه الخلافة ومن هذه الشرائط. [2]

1) الذكورة, والعدالة على شروطها الجامعة.
2) الشجاعة, والعلم المفضي للاجتهاد في النوازل والاحكام.
3) حرا بالغا عاقلا, سالم الاعضاء من نقص يمنع من استيفاء الحركة وسرعة النهوض.
4) الرأي المفضي الى سياسية الرعية وتدبير المصالح.
5) الشجاعة والنجدة المؤدية الى حماية البيضة وجهاد العدو.
6) كافيا لما يتولاه من سياسية الامة ومصالحها.

وتنعقد الخلافة في احدى الطرق الآتية[3]:

1) اختيار اهل الحل والعقد, ويجب ان يكون اهل الحل والعقد من خيار القوم واكثرهم علما وايمانا, واختلفت الآراء في عددهم.

1- ابي الحسن البغدادي الماوردي, الاحكام السلطانية, ط1, مطبعة السعادة, 1909م, ص3.
2- المصدر نفسه, ص ص (3-4). ينظر ايضا: الامام بدر الدين بن جماعة, تحرير الاحكام في تدبير اهل الاسلام, تحقيق: فؤاد عبد المنعم, ط1, رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية, قطر, 1985م, ص ص (51-52).
3- المصدر نفسه, ص4.

2) عهد الامام السابق على الامام الذي يليه.
3) عن طريق الغلبة والقهر ويكون ذلك عند حلول الفتن وخلو الزمان من الامام وتباطؤ اهل الحل والعقد عن تنصيبه وهذه الحالة تمثل استثناء للطريقين الاولين وتكون في الظروف الطارئة. وينتفي عقد الخلافة وتصبح باطلة في أمران اولهما جرح في عدالته يؤدي الى الفسوق ومتابعة الشهوات والشبهات. ثانيهما: نقص في بدنه يعيقه عن عمله.

ان ما جاء اعلاه من صفات الخليفة وطريق توليته يقودنا الى عدة تساؤلات تخص الخلافة داخل تنظيم داعش الارهابي وهي: ما هي الطريقة التي تولى بها ابي بكر البغدادي الخلافة داخل التنظيم؟ وهل توفرت فيه شروط الخليفة؟[1] ومن هم اهل الحل والعقد؟ ماهي صفاتهم؟ من نصبهم؟

ان هذه تساؤلات سترشدنا بدون شك الى مدى شرعية تنصيب ابي بكر البغدادي خليفة للتنظيم بصورة خاصة وخليفة للامة الاسلامية على نحو عام كما زعم التنظيم.

تولى البغدادي الخلافة داخل التنظيم بحسب المصادر الداخلية لتنظيم داعش بطريقين من الطرق الثلاث التي ذكرناها اعلاه, أولى الطريقين هي في اختيار اهل الحل والعقد للخليفة (مجلس شورى المجاهدين). والثانية هي تولي الخلافة بواسطة الغلبة والقهر بالسيطرة على الاراضي وفرض الخلافة بالقوة.[2] وهذين الطريقين لا يجتمعان, اذ كما هو معلوم لدى الفقهاء يكون الطريق الثاني في تنصيب الخليفة حالة استثنائية لا يوجد فيها اهل الحل والعقد, حيث يسيطر فيها على الامة عدو غاصب يمنع من اداء الطريقة الاولى. فكيف يمكن ان يجتمع الطريقان معا خصوصا وان التأريخ الاسلامي كله لم يشهد طريقين في تولي الخليفة للخلافة.[3] فضلا عن ان موضوعة الاستيلاء على الامارة بواسطة

1- ابي همام بكر بن عبد العزيز الاثري, مد الايادي لبيعة البغدادي, ط2, نور الخلافة للنشر, ص5.
2- دولة العراق الاسلامية وزارة الهيئات الشرعية, اعلام الانام بميلاد دولة الاسلام, مؤسسة الفرقان للانتاج الاعلامي, ص21.
3- ابو عبد الله محمد المنصور, الدولة الاسلامية بين الوهم والحقيقة, ص27. متوفر على الرابط: https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-

القوة فيها الكثير من المآخذ اذ انها تشرعن القوة والانقلاب على النظام واشاعة الفوضى وفرض الدين بالقوة وهذا الطريق مخالف لشرع الله.[1]

أما تنصيب البغدادي عن طريق اهل الحل والعقد فقد تجسد بحسب التنظيم فيما عرف (بمجلس شورى المجاهدين) الذي ضم سبع جماعات جهادية وقد تم مشاورة ستين في المئة من شيوخ عشائر اهل السنة بحسب ادعائهم قبل اعلان بيعة البغدادي.[2] وهذا سيقودنا الى تساؤلات مهمة وهي من نصب ما عرف بمجلس شورى المجاهدين وكلاء عن الامة الاسلامية يختارون ويقررون الخليفة عنهم! ثم ما مدى مساحة الحرية لديهم في عملية اختيار الخليفة؟ وماذا سيحدث لهم في حال رفضوا مبايعته؟ وهل سيلتزم التنظيم في ما يقررون؟ ثم ماهي الشروط المتوفرة في اعضاء هذا المجلس؟ اذ لم يوضح التنظيم اي من الشروط الواجب توافرها في اعضاء المجلس. كما لم يبينوا للعامة الطريقة التي جرى بواسطتها اختيار اعضاء هذا المجلس, وما هو حجم المقبولية التي يتمتع بها هؤلاء لكي تؤهلهم لاختيار خليفة على الناس كافة.[3] كل ذلك يضعنا امام زيف ادعائهم بأن البغدادي قد تم تنصيبه خليفة للمسلمين بواسطة اهل الحل والعقد. كما يوضح ذلك حجم التلاعب بعقول بسطاء الناس وجرهم الى الانتماء للتنظيم ومبايعة ابي بكر البغدادي من دون حرية في التفكير والتحري بل فرضت البيعة على الكثيرين بالقوة.[4]

أما الشروط الواجب توافرها في الخليفة فاذا وضعنا المزعوم بالخليفة الاسلامي ابي بكر البغدادي, واسقطنا عليه شرائط الخلافة من عدالة وعلم وشجاعة ورأي مفضي الى حماية بيضة المسلمين وجهاد العدو فلن نجد أي من هذه الشرائط فيه خصوصا وأنه لم يكن عادلا فلا تنعقد امامة الفاسق, وهو المتابع لشهواته, المؤثرة لهواه في ارتكاب

1- محمد فخر الدين الرازي, تفسير فخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب, ج6, ط1, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, لبنان – بيروت, 1981م, ص27.

2- دولة العراق الاسلامية وزارة الهيئات الشرعية, مصدر سبق ذكره, ص21.

3- ابو عبد الله محمد المنصور , مصدر سبق ذكره, ص ص 27-28.

4- المصدر نفسه, ص ص 27-28.

المحظورات والاقدام على المنكرات, لان المراد من الامام مراعاة النظر في شؤون المسلمين, والفاسق لم ينظر في امر نفسه فكيف ينظر في مصلحة غيره. وقد اجمع غالبية المؤرخين والفقهاء المسلمين على العدالة وغياب الفسق في اختيار الخليفة. [1]

كما انه لم يكن عالما بشؤون دينه ولم يكن الاعلم بين الرعية بل حرّف الكثير من الاحكام الاسلامية, كما لم يثبت له رأي يفضي الى حماية بيضة الاسلام وجهاد العدو, بل على العكس قاتل المسلمين من ابناء طائفته والطوائف الاخرى بدل ان يواجه الصهاينة واعوانهم, ومزق وحدة المسلمين واعلن نفسه خليفة على المسلمين من دون بيعة ولا مقبولية من الاوساط الاسلامية المعروفة داخل المذاهب الاسلامية بل فرضها بالقوة على المدنيين العزل.[2] كل هذا يكشف لنا التلاعب وتزييف الحقائق التاريخية تحت غاية واحدة وهي زعامة التنظيم للجماعات والامة الاسلامية وفرض الولاءات عليها بقوة السيف وهذا ما لم يثبت اصله في التأريخ والمصادر الاسلامية. فمن غير المعقول ان تدعوا هذه الجماعة الامة الاسلامية الى تسليم امرها بيد شخص لا يتحلى بأي من الصفات الموجبة لصحة الخلافة والتي اوجبها غالبية الفقهاء في ذكرهم لشرائط تولي الخلافة.

1- عبد الستار احمد فرج, مآثر الامامة في معالم الخلافة للقلقشندي, ج1, ط1, عالم الكتب, بيروت, ص37.

2- المصدر نفسه, ص37.

المطلب الثاني \ التفسير السلفي الجهادي للنصوص الاسلامية

صور تنظيم داعش الارهابي الدين الاسلامي بصورة منحرفة, اذ ان ما قام به اعاد الى الواجهة مرة اخرى الحديث عن التراث الاسلامي المحرف والمغلوط. اذ مع كل عمل ارهابي يقوم به التنظيم كان يتلوا قبله او اثناءه او بعده آيات من القرآن الكريم او حديث نبوي شريف, فهو لم يجتهد في فعل يفعله, الا وكان قد ارجعه الى ما هو مروي في التراث الاسلامي المحرف كالسبي والمثلة والذبح والحرق والانتحار وغيرها. لهذا تضرب جذور التنظيم الفكرية في اعماق التاريخ الاسلامي خصوصا وانه قد اوجد ضالته في نصوص اسلامية متجزئة وتفسيرات لنصوص دينية وايدلوجية جهادية متطرفة ترجع جلها الى مدارس سلفية متشددة كما انه اعتمد على احاديث وروايات ضعيفة السند ورواة غير ثقاة وتفاسير قرآنية غير واقعية وتحتاج الى اعادة النظر.

لم يكن تنظيم داعش الارهابي مجرد كيان عسكري بل استند الى ايدولوجيات متطرفة قام بتشكيلها مجموعة من المنظرين الجهاديين او التكفيريين من بينهم (سيد قطب – ابو محمد المقدسي – ابي مصعب الزرقاوي – ابي عبد الله المهاجر– وتركي بن مبارك وغيرهم). [1] لقد مثّل هؤلاء ابرز منظري التنظيم الا انهم ليسوا وحدهم بل كان هنالك ملامح لفكر التنظيم المتطرف في الكثير من الكتابات والتفاسير الاسلامية عبر التاريخ وهذا ليس تجني بقدر ما هو نقد لوضع علامات الاستفهام على تلك الموروثات فهي ليست مسلمات غير قابلة للنقد كما انها ليست نصوصا مقدسة كما القرآن الكريم, فلابد اذن من تعرية واجتثاث تلك الادبيات والنصوص الولادة للتكفير والتطرف. وفيما يلي سنقوم على نحو مختصر بنقد لبعض التفاسير القرآنية في سعينا لإعادة قراءتها بطريقة اكثر واقعية وحداثوية بالشكل الذي نتمكن من خلاله غلق الباب امام الجماعات التكفيرية المتطرفة, كما سنورد بعض الاحاديث الضعيفة السند والمروية عن النبي محمد (صلى) لكي لا يلتبس امرها على القارئ لأدبيات تلك الجماعات.

1- د. نوزاد صديق سليمان, التطرف في الدين اسبابه وآثاره وعلاجه, عدد 60, جامعة صلاح الدين \ أربيل, 30 كانون الاول 2019م, ص282.

اولا: تأويل القرآن الكريم

شكّل تأويل مفاهيم الحاكمية والولاء والبراء والترس والجهاد وتكفير المخالفين والمثلة. مشكلة في التراث الاسلامي, لابد من معالجتها معالجة صحيحة وحداثوية خصوصا وانها قد شكلت مادة دسمة لأغلب ان لم يكن كل الجماعات العنفية المتطرفة عبر التاريخ الاسلامي. فلقد كان لتأويل النصوص المتعلقة بالمفاهيم اعلاه القول الفصل خصوصا وان الجماعات المتطرفة تركت النص نفسه وتمسكت بتأويله لتحقيق اهدافها ومن هذه النصوص التي وظفها التنظيم لإضفاء الشرعية على اعماله نذكر آيتين قرآنيتين وعلى نحو مختصر.

1 – قوله تعالى (فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ).[1]

نزلت هذه الآية في السنة التاسعة للهجرة، عندما نقض المشركون العهود مع المسلمين، وبدأوا بالاعتداء عليهم. كانت الآية تهدف إلى حماية المجتمع المسلم من العدوان. الا ان بعض التفاسير عدت هذه الآية دعوة مفتوحة لقتل وأسر من هم غير مسلمين في كل زمان ومكان من دون الاشارة الى انها كانت مخصوصة في الحديث عن مشركي قريش في سياق تاريخي معين وليس امرا عاما فالآية تتحدث عن حالة دفاعية ضد المشركين المعتدين في ذلك الزمن، وليس عن حكم عام لكل الأزمنة. كما ان المقصود هنا هم المشركين الذين نقضوا العهود، وحاربوا المسلمين، ولم يلتزموا بسلام أو معاهدة. وليس كل من يعتنق دينًا آخر. الا ان ما جرى هو العكس تماما فقد تم تأويل النص القرآني تأويلا اذا ما اردنا تطبيقه فيتعين علينا ان نقاتل اليوم كل العالم خارج دار الاسلام بأستثناء من لهم عهد مؤقت وهذا الامر يستحيل تطبيقه والتعايش معه كما انه ينافي ما كان سائدا في عهد النبوة والخلافة.[2]

1- القرآن الكريم , سورة التوبة, الآية 5.

2- سيد قطب, في ظلال القرآن, مجلد 1, الاجزاء 1-4, , دار الشروق, 2003, ص1601. ينظر كذلك: عبد الرحمن بن ناصر السعدي, تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, ط1, مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر, بيروت, 2002م, ص ص (328-329). ينظر ايضا: عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي, الجامع لاحكام القرآن, ج8, دار الكتب المصرية, القاهرة, 1939م, ص72.

2 – أما الآية الاخرى رقم 29 من سوره التوبة (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ).

تذهب هذه الآية بحسب بعض المفسرين والمؤرخين الاسلاميين الى تنظم العلاقة بين المجتمع الاسلامي واهل الكتاب, وتعتبر دعوة للقتال المفتوح ضد كل من لا ينتمي للإسلام سواء كان من المشركين او المرتدين واهل الكتاب ايضا وقد وضع بعض المفسرين أهل الكتاب في حل من القتال ما داموا يعطون الجزية, فأن امتنعوا عنها وجب قتلهم هذا وفقا لما اورده كل من القرطبي والسعدي وسيد قطب والطبري في تفسيرهم حيث ذهبت الى قتال المشركين واهل الكتاب على السواء دون استثناءات. هذه التفاسير تستدعي منا الوقوف عندها خصوصا وانها شكلت مادة دسمة للتطرف واباحة القتل ونشر العنف ونقل صورة مشوهة عن الاسلام.[1]

ان الناظر لتفاسير الآيتين القرآنين سيلحظ حجم التناقض بينها وبين الآيات القرآنية الاخرى, وهذا ان دل على شيء فأنه يدل على مشكلة في فهم النص القرآني, فإذا وضعنا هذه التفاسير امام نصوص قرآنية مثل قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ),[2] وقوله تعالى: (لاَّ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ).[3] وقوله: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ).[4] وقوله: (وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا).[5] وقوله تعالى (لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً

1- سيد قطب , في ظلال القرآن, مصدر سبق ذكره, ص ص (162-1621). ينظر كذلك: عبد الرحمن بن ناصر السعدي, تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, ط1, مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر, بيروت, 2002م, ص334. ينظر ايضا: عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي, الجامع لاحكام القرآن, ج8, دار الكتب المصرية, القاهرة, 1939م, ص ص(109-110). ينظر ايضا: الطبري, جامع البيان عن تآويل آي القرآن, مجلد 4, ط1, مؤسسة الرسالة, بيروت, 1994م,ص98.

2- القرآن الكريم, سورة يونس, آية 25.

3- القرآن الكريم, سورة الممتحنة, آية 8.

4- القرآن الكريم, سورة الانبياء, آية 107.

5- القرآن الكريم, سورة الكهف, آية 29.

وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِين). فأننا سنلاحظ ان هناك اشكالية في تفسير آيات الجهاد وضوابطها ومتى يوجب الجهاد ومتى لا يوجب فمن غير الممكن ان نذهب بتفاسير قرآنية الى حالة اعلان حرب دائم في كل زمان ومكان ضد كل من لا يدينون بالإسلام خصوصا في وقتنا الحاضر, كما يستحيل اخذ الجزية بهذا المفهوم من اهل الكتاب القانتين داخل الدولة الاسلامية. فخطاب القرآن الكريم كان واضحا فيما يخص الجهاد اذ ان الله سبحانه وتعالى خاطب رسوله الكريم بأن الله يهدي من يشاء من خلقه للإيمان ويأذن له في تصديقك واتباعك فلا تجهدن نفسك في طلب هداهم وما عليك الا ان تبلغها وعيد الله كما ان الجهاد فرض كفاية اي لدفع العدوان عن المسلمين ضمن حدود وضوابط صارمة اما ان يدخل المشركين ديار المسلمين فانه يتعين الجهاد حينذاك على الجميع ويصبح حينئذ المسلمين كافة في حالة حرب مع المعتدين على الدولة الاسلامية لا في حالة حرب مع كل من هم غير مسلمين في العالم برمته.[1]

ثانيا: الاحاديث النبوية الشريفة

هناك الكثير من الاحاديث التي ليس لها موثوقية في التراث الاسلامي لا مجال هنا لذكرها جميعا وانما سنذكر ابرز تلك الاحاديث التي جيّرها تنظيم داعش لمشروعه التكفيري.

1 – حديث (الملحة)

عن زهير بن حرب عن معلى بن منصور عن سليمان بن بلال عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي محمد (صلى) انه قال: (لا تقومُ الساعةُ حتى ينزلَ الرومُ بالأعماقِ أو بدابقٍ، فيخرجَ إليهم جيشٌ من المدينةِ من خيارِ أهلِ الأرضِ... فإذا جاءوا الشامَ خرج، فبينما هم يُعَدُّون للقتالِ، يسوون الصفوفَ، إذ أُقيمتِ الصلاةُ، فينزلُ عيسى ابنُ مريمَ، فأمَّهم...).[2]

1- محمد فخر الدين الرازي, تفسير فخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتح الغيب, ج6,ط1, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, لبنان – بيروت, 1981م, ص27. ينظر ايضا: محمد بن جرير الطبري, جامع البيان في تأويل آي القرآن, مجلد4, ط1, مؤسسة الرسالة, بيروت, 1994م, ص242.

2- أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري, صحيح مسلم, تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, دار إحياء التراث العربي, ص2221.

استخدم التنظيم هذا الحديث المروي في صحيح مسلم في الترويج على ان معركته في العراق والشام جزء من معركة نهاية الزمان لهذا استطاع داعش من ضم عدد غير قليل من الاتباع في صفوفه وساعده في ذلك ماكنته الاعلامية المدعومة من اعداء الاسلام مبينا على ان من يقاتل الى صفوفه فانه سيكون من الاخيار والمؤيدين من الله وان من يقتل سيكون مثواه الجنة.

2 – اما الحديث الاخر: عن عمرو بن القاسم بن حبيب التمار الكوفي, عن يزيد بن ابي زياد, عن ابراهيم, عن علقمة, عن عبد الله وعمرو عن النبي محمد (صلى) انه قال: (اذا رايتم الرايات السود قد خرجت, فأتوها ولو حبوا على الثلج).[1]

وظّف تنظيم داعش هذا الحديث لتحشيد الاتباع ورفع الرايات السود مدعيا انه يمثل جيش المهدي على الرغم من ضعف سند الحديث كما هو مروي. اذ انه مروي ولم يتكلم فيه المتقدمون كما ان سلسلة الرواة ليست من الثقاة في نقل الحديث.[2]

3 – اما حديث (من بدل دينه فاقتلوه).[3]

استخدم داعش هذا الحديث لقتل كل من يترك التنظيم ويخالف افكاره, ولهذا خاض حروبا داميه مع الجماعات العنفية الاخرى كجبهة النصرة وكل من عدّهم من المرتدين الذين وجب قتالهم وقتلهم.

4 – أما عن المثلة فقد اقدموا على المثلة بالمقتول مجتهدين في ذلك الى روايات ضعيفة وغير مسنودة وقد تكون صادرة بعض الاحيان من افعال بعض الاشخاص الذين ليسوا مقدسين عن الخطأ منها على سبيل المثال ما جاء في بعض الكتب التاريخية في جواز المثلى في المقتول كما فعل ابي بكر حين قتل اهل الردة بالأحراق بالنار وبالحجارة وبالرمي من رؤوس الجبال والتنكيس في الآبار. وكذلك في قول عمر ابن الخطاب وهو يحاور ابا جندل في وصفه للمشركين قائلا: (اصبر ابا جندل, فإنما هم المشركين وانما دم احدهم: دم كلب)[4] مستندين

1- محمد بن طاهر القيسراني, ذخيرة الحفاظ المخرج على الحروف والالفاظ, ط1, دار السلف للنشر والتوزيع, المملكة العربية السعودية – الرياض, 1996م, ص318.

2- المصدر نفسه, ص318.

3- عبد الله بن محمد البخاري, صحيح البخاري, مجلد1, جمعية البشرى الخيرية, 2016م, ص1413.

4- عبد الملك بن هشام الحميري, السيرة النبوية (ابن هشام), مؤسسة علوم القرآن, ج2, ص319.

الى قوله تعالى (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين).[1] في حين اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نــزلت هذه الآية. وقيل: هي منسوخة أو محكمة، فقال بعضهم: نــزلت من أجل فعل المُشركون يوم أُحد ما فعلوا بقتلى المسلمين من التمثيل بهم أن يجاوزوا فعلهم في المُثْلة بهم إن رزقوا الظفر عليهم يومًا، فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية وأمرهم أن يقتصروا في التمثيل بهم إن هم ظفروا على مثل الذي كان منهم، ثم أمرهم بعد ذلك بترك التمثيل بالمقتول، وإيثار الصبر عنه بقوله وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللَّهِ فنسخ بذلك عندهم ما كان أذن لهم فيه من المُثلة.[2]

ان النبي محمد (صلى) نهى عن المثلة في الكثير من الاحاديث النبوية الشريفة ففي الحديث النبوي الشريف حين بعث النبي محمد (صلى) بسرية كان يقول لهم: اغزوا بسم الله في سبيل الله تقاتلون من كفر بالله، لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا...، وقل ذلك لجيوشك، وسراياك إن شاء الله.[3]

وفي الحديث النبوي المروي عن قتيبة بن سعيد: حدثنا الليث عن سليمان بن يسار عن ابي هريرة انه قال بعثنا رسول الله في بعث فقال " ان وجدتم فلان وفلان فأحرقوهما بالنار" ثم قال رسول الله حين اردنا الخروج " اني امرتكم ان تحرقوا فلانا وفلانا, وان النار لا يعذب بها الا الله, فان وجدتموهما فاقتلوهما." [4] وفي هذا دليل واضح على عدم جواز المثلة والحرق والتعذيب في المعارك.

كما ان النبي محمد (صلى) نهى عن قتل الاسير واستغلاله في المعارك حيث قال في ذلك " فكوا العاني – اي الاسير – واطعموا الجائع وعودوا المريض."[5]

بالمجمل لقد اعتمد تنظيم داعش الارهابي على اجتزاء الآيات القرآنية الكريمة وعزلها عن بيئتها واسباب نزولها والتغاضي عمدا عن المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ في تبنيه للاحكام الشرعية والاخذ ببعض النصوص دون البعض الآخر. اما الاحاديث النبوية

1- القرآن الكريم, سورة النحل, الآية 126

2- محمد بن جرير الطبري, مصدر سبق ذكره, ص750. ينظر: ابي عبد الله المهاجر, فقه الجهاد عشرون مسألة من اهم ما يحتاجه المجاهد, ط2, مكتبة الهمة, 1436هجري, ص254.

3- أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري, مصدر سبق ذكره, ص1357.

4- عبد الله بن محمد البخاري, مصدر سبق ذكره, ص1413.

5- المصدر نفسه, ص1425.

الشريفة فقد جردها من سياقها وتأويلها وتعمد ايضا الوقوف على ما هو ضعيف منها لتحقيق اهدافه متجاهلا النصوص الاسلامية التي تؤكد على الرحمة وتدعوا الى السلم والتعايش وتمنع القتل وهذا هو مسلك كل الجماعات المتطرفة في سعيها الى ليّ عنق الحقيقة واستخدام النص الديني استخداما مصلحيا لإضفاء الشرعية الدينية على ارهابهم.[1]

الخاتمة

ان ظهور الجماعات المتطرفة وسيطرتها على المشهد لفترة معينة كان لسبب رئيس يمكن ان نسميه الانحراف الفكري سواء كان ذلك الانحراف ديني ام غير ديني ووصف الجماعات بأنها متطرفة ناتج عن انحراف فكري لهذه الجماعات على مستوى فهم ونقل وتطبيق النصوص الاسلامية, ولكي نعالج ذلك الانحراف لابد من احلال فكر قائم على اسس علمية رصينة ودراسة معمقة للدين تلائم متغيرات العصر فلا يجب ان نحتكم لنصوص جاءت لتنظم حيات جماعة من الناس في عصور صدر الاسلام كما لا يجب ان نتركها خلف ظهورنا, بل لابد من اعادة قراءة تلك النصوص بما يتلاءم ومتغيرات العصر الحديث. كما يجب الانفتاح على الآخر لا وصفه بالكفر والالحاد ولا الدعوة الى قتله بالأعمال الانتحارية التي تستهدف الابرياء والعسكريين على حد سواء.[2] كما يجب احلال التسامح محل التعصب وتفعيل دور الرقابة والمحاسبة لكل من يحاول نشر افكار من شأنها ان تغذي التكفير والعنف داخل المجتمع. وتأكيد على دور الاسرة والمؤسسات التربوية والتعليمية والمناهج الدراسية في تغذية وتنشئة المجتمع تنشئة صحيحة تقوم على بناء المجتمع وصهره في بوتقة واحدة بدل من تفكيكه تحت مسميات دينية وعرقية وطائفية.

1- عبد القادر بن عبد العزيز, العمدة في اعداد العدة للجهاد في سبيل الله تعالى, ط1, ص ص (88, 251,252) متوفر على الرابط: https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-

2- د. احمد عبد الكريم نجيب, الدلائل الجلية على مشروعية الاعمال الاستشهادية, صxvii. متوفر على الرابط: https://ketabonline.com/ar/books/27987/read?part=1&page=2&index=4402660

المصادر

1. القرآن الكريم.
2. حميد فرد, ابو بكر البغدادي سياحة في دولة التوحش, مكتب الدراسات لموقع آخر ساعة, 2015م.
3. د. عادل عباس النصراوي, اشكالية فهم النص القرآني عند المستشرقين, ط1, دار الرافدين, لبنان – بيروت, 2016.
4. باتريك بي جونستون وأخرون , اسس تنظيم الدولة الاسلامية الادارة, والمال, والارهاب في العراق, من عام 2005 الى 2010, RAND, 2016.
5. ابي الحسن البغدادي الماوردي, الاحكام السلطانية, ط1, مطبعة السعادة, 1909م.
6. الامام بدر الدين بن جماعة, تحرير الاحكام في تدبير اهل الاسلام, تحقيق: فؤاد عبد المنعم, ط1, رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية, قطر, 1985م.
7. دولة العراق الاسلامية وزارة الهيئات الشرعية, اعلام الانام بميلاد دولة الاسلام, مؤسسة الفرقان للانتاج الاعلامي.
8. ابو عبد الله محمد المنصور, الدولة الاسلامية بين الوهم والحقيقة, متوفر على الرابط: https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8
9. محمد فخر الدين الرازي, تفسير فخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب, ج6, ط1, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, لبنان – بيروت, 1981م.
10. عبد الستار احمد فرج, مآثر الامامة في معالم الخلافة للقلقشندي, ج1, ط1, عالم الكتب, بيروت.
11. د. نوزاد صديق سليمان, التطرف في الدين اسبابه وآثاره وعلاجه, عدد 60, جامعة صلاح الدين \ أربيل, 30 كانون الاول 2019م.
12. سيد قطب, في ظلال القرآن, مجلد 1, الاجزاء 1-4, , دار الشروق, 2003.
13. عبد الرحمن بن ناصر السعدي, تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, ط1, مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر, بيروت, 2002م.
14. عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي, الجامع لاحكام القرآن, ج8, دار الكتب المصرية, القاهرة, 1939م.
15. عبد الرحمن بن ناصر السعدي, تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, ط1, مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر, بيروت, 2002م.

16. عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي, الجامع لاحكام القرآن, ج8, دار الكتب المصرية, القاهرة, 1939م.

17. الطبري, جامع البيان عن تآويل آي القرآن, مجلد 4, ط1, مؤسسة الرسالة, بيروت, 1994م.

18. محمد فخر الدين الرازي, تفسير فخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتح الغيب, ج6,ط1, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, لبنان – بيروت, 1981م.

19. محمد بن جرير الطبري, جامع البيان في تأويل آي القرآن, مجلد4, ط1, مؤسسة الرسالة, بيروت, 1994م.

20. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري, صحيح مسلم, تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, دار إحياء التراث العربي.

21. محمد بن طاهر القيسراني, ذخيرة الحفاظ المخرج على الحروف والالفاظ, ط1, دار السلف للنشر والتوزيع, المملكة العربية السعودية – الرياض, 1996م.

22. عبد الله بن محمد البخاري, صحيح البخاري, مجلد1, جمعية البشرى الخيرية, 2016م.

23. عبد الملك بن هشام الحميري, السيرة النبوية (ابن هشام), مؤسسة علوم القرآن, ج2.

24. ابي عبد الله المهاجر, فقه الجهاد عشرون مسألة من اهم ما يحتاجه المجاهد, ط2, مكتبة الهمة, 1436هجري.

25. عبد القادر بن عبد العزيز, العمدة في اعداد العدة للجهاد في سبيل الله تعالى, ط1, متوفر على الرابط: https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-

26. ابي همام بكر بن عبد العزيز الاثري, مد الايادي لبيعة البغدادي, ط2, نور الخلافة للنشر.

27. الامام بدر الدين بن جماعة, تحرير الاحكام في تدبير اهل الاسلام, تحقيق: فؤاد عبد المنعم, ط1, رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية, قطر, 1985م.

28. د. احمد عبد الكريم نجيب, الدلائل الجلية على مشروعية الاعمال الاستشهادية, متوفر على الرابط: https://ketabonline.com/ar/books/27987/read?part=1&page=2&index=4402660